مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (8) العدد (1) 2024
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2024/05/18، تاريخ القبول: 2024/06/06، تاريخ النشر: 2024/06/07

الثوابت والمتغيرات في فلسفة فتجنشتين

قمر مفتاح الرويمي
qmalruwaymi@elmergib.edu.ly
قسم الفلسفة وعلم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم مسلاتة،
جامعة المرقب، ليبيا

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان أن فتجنشتين كانت له فلسفة جديدة في المنطق واللغة، وأن فكرة الثابت يمكن الوقوف عليها من الألفاظ ذاتها ودلالاتها المنطقية. وكان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج التحليل النظري، بالإضافة إلى منهج التركيب النظري.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن الفلسفة خطت خطوات واسعة نحو الوصول إلى المعالجة الدقيقة لمشكلات العصر وذلك بفضل فكرة الثابت وهو (الشكل)، والمتغير وهو (المضمون)، كما توصلت الدراسة إلى أن فلسفة التحليل ترسم لنفسها الخطوة الراقية التي تعمل على بلوغها، فهي بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية
التحليل المنطقي، الثابت، المتغير، الوقائع الذرية، فلسفة التحليل.

المقدمة

من المؤكد أن لودفيج فتجنشتين كان له تأثير كبير على الفلسفة الإنجليزية في القرن العشرين وما تلاها، على أساس أن أكثر من درس وأخذ عنهم هم مور، ورسل، بجانب أساتذة الفلسفة الإنجليزية الذين تأثروا به. وترجع أهمية فلسفة فتجنشتين إلى تغييره لمفهوم الفلسفة ووظيفتها، فضلاً عن الطريقة الجديدة التي اصطنعها في التفلسف وهي تحليل اللغة أو منهج التحليل، كما ترجع إلى النتائج التي ترتبت على نظرياته وأفكاره الفلسفية مثل ظهور فلسفة اللغة العادية، ونشأت الوضعية المنطقية، وكان منهج التحليل بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة المعاصرة.

وحيث اخترت أن يكون موضوع هذا البحث هو "الثابت والمتغير عند فتجنشتين" فمن المناسب أن يكون حديثي هنا حول نقاط محددة يدور حولها البحث فيما بعد وأبرز هذه النقاط ما يتعلق بالآتي:ـ

أهمية الدراسة:

1. أن فتجنشتين نظر إلى اللغة وأدرك أن المتغير والثابت لابد أن يرجع إلى الأصل، فإذا كانت مهمة اللغة هي تقرير الوقائع فمن الممكن أن تساعد هذه الوقائع في بناء الجملة وبناء الواقع، كأنه يعكس صورته على الأنماط الأصلية للأقوال المنطقية. واستطاع أن يقدم فكره الفلسفي من خلال النظر في العالم واعتباره مكوناً من وقائع ذرية أطلق عليها "نظرية المضامين الأساسية أو المقومات النهائية للعالم". فالعالم بما فيه من ثوابت ومتغيرات لا يكون مكونه الأساسي مجرد موضوعات لا رابط بينها، وإنما هي موضوعات مرتبة على صورة وقائع استطاع الرجل أن يطلق عليها اسم "الوقائع الذرية" معللاً ذلك الإطلاق بأنها وقائع لا تقبل التحليل إلى وقائع أخرى أبسط منها، ومن ثم اعتبر النقاد أن هذا الجانب من فلسفته له أهمية كبرى.

2. وهو يتحدث عن الثابت والمتغير نراه يضرب الأمثلة بالجملة الشائعة "سقراط الحكيم" ويرى أن هذه الجملة يتمثل فيها الأول سقراط وهو موضوع مستقل، والثاني حكيم وهو موضوع مستقل أيضاً، وعند جمع الاثنين معاً نبلغ درجة الواقعة الذرية، وهذه الواقعة تتغير من حيث هي منطوق لغوي، وهنا تظهر أهمية البحث ببيان أن الثابت غير المتغير.

منهجية البحث:

مادام فتجنشتين عمله في التحليل المنطقي وفلسفة اللغة إذن سيكون المنهج المتبع هو منهج التحليل النظري باعتبار أن الثابت والمتغير واقع في نطاق القضايا الأولية من ناحية اللغة والمنطق، كذلك سأتبع منهج التركيب النظري؛ لأنه هو الذي يقوم على فكرة التحليل بما يقابلها، فالألفاظ مركبة أو مؤلفة وانحلالها إلى عناصرها هو ما يطلق عليه التحليل، بالإضافة إلى منهج المتابعة الذي يتناول الوقائع والموضوعات كل واحدةٍ منها على ناحيةٍ بذاتها.

الأهداف والغايات:

1. بيان أن فتجنشتين كانت له فلسفة جديدة في المنطق واللغة، أما الغاية فهي التأكيد على أن كل ثوابته ومتغيراته خاضعة لمعيار واحد يمكن أن نطلق عليه "المعيار النظري أو اللغوي".

2. أن فكرة الثابت يمكن الوقوف عليها من الألفاظ ذاتها ودلالاتها المنطقية، أما الغاية فهي بيان أن الفلسفة في إطارها المنطقي لا تختلف عن إطارها الأنطولوجي لأن كلاً منهما لها معنى محدد وثابت.

3. أن فكرة المتغير عند فتجنشتين ليس معناها تنازل هذا المتغير عن القواعد الضابطة له وإنما معناه أن يكون متغيراً في تلك الحال، أما الغاية فهي إثبات أن المتغير قد يكون ثابتاً متى طرأت عليه عوامل جديدة، والثابت قد يكون متغيراً إذا حذفت منه المتغيرات التي طرأت عليه.

الإشكاليات البحثية:

تباينت آراء النقاد في الحكم على القيمة العلمية لفتجنشتين، فهناك من اعتبره مسيح الفلسفة المعاصرة، وهناك من اعتبره المسئول الأول عن هبوط الفلسفة الحديثة إلى المستويات الأدنى حتى اتهموه أنه أكبر شخصية ساعدت على رفع راية اللافلسفة، وهنا يحق لنا أن نطرح هذه التساؤلات:ـ

1. هل نجد لهذا الفيلسوف أصالة وجدة في أفكاره كواحدٍ من أهم الباحثين في فلسفة التحليل المنطقي وفلسفة اللغة؟ وهل كان فتجنشتين هو أول من تناول ـ فلسفياً ـ فكرة الثابت والمتغير وأبدع القول فيها مع العلم أن الإبداع غير التطوير؟

2. هل استطاع الفيلسوف أن ينقل تلك الفكرة من الجانب اللغوي إلى آخر عملي أم أن اللغة صارت بالنسبة له عملاً؟ وهل يمكن تحويل القضايا المنطقية والألفاظ اللغوية إلى فلسفة التحليل؟ وما هو الأثر الذي تركه فتجنشتين بحديثه عن الثابت والمتغير؟

3. عندما وضع فتجنشتين الثابت والمتغير أوجد علاقة رابطة بينهما فهل هذه العلاقة جوهرية أم أنها هي الأخرى تدور بين الثابت والمتغير؟ وهل يمكن اعتبار الثابت والمتغير نظرية فلسفية تقبل التطبيق العملي؟

مكونات الدراسة:

تتكون هذه الدراسة بعد المقدمة من ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول/ مفهوم الثابت والمتغير عند فتجنشتين.

المبحث الثاني/ موضوع الثابت والمتغير عند فتجنشتين.

المبحث الثالث/ أثر الثابت والمتغير في المستقبل.

ثم الخاتمة وتشمل أهم النتائج /أبرز التوصيات/ أهم المقترحات.

وأخيراً أهم المصادر والمراجع في حدود ما تسمح به ذات الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الثابت والمتغير:ـ

أ- مفهوم الثابت: يذهب فتجنشتين إلى تعريف الثابت فيؤكد أن التعبير الذي تنطوي عليه أية قضية يشتمل على أمرين: أحدهما الشكل، والثاني هو المضمون، ويقرر أن الثابت هو« شكل القضية المكونة من موضوع ومحمول وعناصر وأجزاء داخلة في تركيب أية قضية»(1)، وبناءً عليه فالثابت هو شكل القضية، أما المتغير فهو أجزاؤها التي تبقى فيها.

ويشرح الدكتور علي صبحي مفهوم الثابت بقوله: « هب أننا وضعنا قضية بعنوان موسى عبر البحر فالثابت هنا هو شكل القضية من وضع موسى أولاً، ثم بعبر ثانياً، ثم البحر ثالثاً، وهو شكل اسمي، فلو غيرنا أجزاء القضية وقلنا مثلاً عبر موسى البحر فتحولت من اسمية إلى فعلية بقي شكل القضية كما هو لم يتغير، بينما لو قلنا موسى عبر البحر بأمان فإن القضية شكلها ثابت لم يتغير»(2). نلحظ مما سبق أن الثابت هو شكل القضية التي تكون عليها صورتها دون أن يحدث لها شيء من التغير.

ويقدم الدكتور زكريا إبراهيم مفهوماً للثابت مؤداه أن الثابت في كل قضية سواء أكانت حملية، أو شرطية، أو رمزية هو الشكل، في حين أن ما عداه متغير، ثم يقول: « ولو أننا غيرنا كل عنصر من العناصر أو الأجزاء الداخلة في تركيب أية قضية بحيث نحيله إلى متغير لبقى الشكل المنطقي للقضية كما هو دون أدنى تغير»(3)، ثم ضرب مثالاً بقوله: « هب أننا وضعنا بدلاً من القضية " شرب سقراط السم" قضية أخرى تقول "تعاطى كولردج المخدرات" لبقى "شكل" القضية كما هو. وهذا ما اصطلحنا على تسميته باسم "متغير القضية"»(4)، ثم إن الثابت يُعرف بأنه ما لا يقبل التغير سواء أكان قصدياً، أم عمدياً، وسواء أدخل التركيب المنطقي، أو النحو المنطقي، فالثابت هو هو ولا يقبل التغيير أبداً، لأنه الشكل الذي وردت عليه القضية وحسبت صادقة أو كاذبة من جهته(5).

(1) محمود حسن خليل، فتجنشتين وفلسفته التحليلية، طبعة بيروت، 1998م، ص85.

(2) علي صبحي، الفلسفة التحليلية "فتجنشتين نموذجاً"، طبعة دار المعرفة، بيروت، 1998م، ص73. 74.

(3) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، 1978م، ج: الأول، ص249.

(4) نفس المرجع، ص249.

(5) صدق القضية أو كذبها يستمر معها حتى وإن تغيرت أجزاؤها طالما بقى عنصر الإيجاب أو السلب موجوداً، فتكون صادقة متى كانت موجبة، وتكون كاذبة متى كانت سالبة، وتخالف قواعد المنطق المتفق عليها.

ثم ينطلق فتجنشتين إلى تعريف الثابت في المفردات بأنه المعنى الذي تتضمنه حروف الكلمة، ثم يقول: «إن كلمةً واحدةً بعينها قد تشير إلى معنيين مختلفين كل الاختلاف، كما أن كلمات مختلفة قد تعني شيئاً واحداً بعينه»(1).

الثابت هو الذي لا يحدث له تغيير لا في مادة القضية ولا في طبيعتها، ولذلك يسمى ثابت القضية(2)، ومن تم فإن الثابت في كل قضية هو الشكل الذي وردت عليه، أو الصورة التي انضبطت فيه، ولا يخفى أن فكرة الثابت في القضية إنما هي دالة القضية ونحن كثيراً ما نتعامل بقضايا على أنها دالات أو ثوابت مع أن الأمر ليس كذلك فإنها في أصلها داخلة ضمن المتغير.

وإذا كان المناطقة الأقدمون قد نظروا إلى القضية باعتبار الموضوع والمحمول في القضية الحملية من جهة، والمقدم والتالي في القضية الشرطية من جهةٍ أخرى، فإن فتجنشتين قد نظر إلى شكل القضية أولاً وأكد أن هذا الشكل هو الثابت، وغايته من الشكل هو الصورة التي وردت عليه بغض النظر عن كونها موضوع، أو محمول، أو كونها اسمية، أو فعلية، إنما المهم أن شكلها الذي وضعت عليه لم يتغير.

ب_ مفهوم المتغير: يُعرف فتجنشتين المتغير بأنه كل أجزاء القضية سواء أكان التغير مكاني يقوم على استبدال حرف أو كلمة مكان حرف، أو كلمة، أو إجمالياً، فإن ذلك يؤكد على المتغير، يقول موريس فيشر إن المتغير في القضية الحملية هو كل جزء من أجزائها، ويضرب بذلك مثالاً فيقرر أننا إذا قلنا "العلم قد يفيد" ثم غيرنا من الإيجاب إلى السلب وقلنا "العلم قد لا يفيد" فالذي وقع فيه التغير هو الإيجاب والسلب، وبناءً عليه يكون كل واحدٍ من أجزاء القضية متغير ويصح أن نسميه متغير القضية(3).

ويعلق الدكتور زكريا إبراهيم على فكرة المتغير مؤكداً أننا في حياتنا العادية نستخدم لغة تأتي فيها كلمة واحدة تحمل معنيين مختلفين فينتج عنها من الأمور ما لم يكن محسوباً في القضية الأولى(4).

بيد أننا حين ننظر إلى المتغير نجده في المعنى وليس في الشكل، فمثلاً كلمة الحميم فإنها تعني الصديق الوفي وهذا المعنى كامنٌ في طبيعة اللفظ، وإذا انتقلنا إلى المعنى الأخر وهو الحميم المصاب بالحمى بان أن المعنيين مختلفين، فاللفظ ثابت أما الاستعمال للفظ فهو المتغير، إذن فالمتغير هنا يكون في المعنى والمضمون وليس في شكل اللفظ، فلفظ الحميم مكون من حروف ثابتة ستة عند عدها لكنها

(1) محمد سلطان، فلسفة فتجنشتين بين التحول والتحليل، مطبعة نهر النيل، القاهرة، 1998م، ص81.

(2) محسن طلبة، مفهوم القضية في فلسفة التحليل "فتجنشتين نموذجاً"، مكتبة الأهرام، القاهرة، 1999م، ص15. 16.

(3) موريس فيشر، نظرات في فلسفة التحليل المنطقي، ت: السيد حسن شكري، دار المعرفة، بيروت، 2015م، ص3433.

(4) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص249.

ذات دلالة متغيرة من ناحية المعنى، ومن هنا يجب تحديد المعنى عندما نستعمل اللفظ المتغير حتى لا يقع ضلالٌ في الأحكام.

لقد ذهب الكثيرون من دارسي فلسفة التحليل إلى تعريف المتغير تعريفات كثيرة منها:-

1- أن المتغير في كل قضية أولية إما أن يكون المعنى المباشر، وإما أن يكون المعنى الغير مباشر، فإذا كان اللفظ يدور في معنيين فإن المتغير هو الوقوف على أحد المعنيين، أما إذا تعددت المعاني فإن المتغير هو الأخر يتعدد، ومع إطلاقنا لفظ متغير القضية عليه يثبت لنا أن المتغير ليس هو الشكل الذي عليه المفرد أو الشكل الذي عليه القضية من كونها اسمية أو فعلية(1).

2- أن المتغير يمكن أن يُعرف بأنه اللفظ المشترك في المعنى وله دلالات متعددة؛ لأن الاشتراك في المعنى يجعل النتائج متواردة على أحد الوجوه المحتملة، وبناءً عليه جاءت فلسفة التحليل لتضيق الهوة بين الشكل وهو الثابت، وبين المعنى وهو المتغير في دلالاته، أو هو في ذات الوقت دالة القضية.

3- المتغير هو الذي ترد فيه احتمالات متعددة بعضها قد يكون واقعاً من ناحية الموضوع، وبعضها قد يكون من ناحية احتمال الخطأ، والميزة الكبرى لأي لغة منطقية هي أنها توجه انتباهنا إلى الخواص الشكلية، أو الخواص الصورية للموضوعات أو الوقائع، وليس السر في ذلك أنها قضايا تعبر عن شكل الوقائع، بل السر أنها تظهره دون أن تقرره أو تنص عليه(2).

أخلص مما سلف إلى أن الثابت في فلسفة التحليل المنطقية يقوم في الشكل، بينما يقوم المتغير في فلسفة التحليل في الأجزاء التي بنيت عليها القضية المنطقية، وما من سبيلٍ إلى بحث تلك المسألة بعيداً عن إطارها الذي وضعت فيه ويجب التزامه ولا يحسن الخروج عليه.

وإذا كنت قد ذكرت بعض التعريفات للمتغير والثابت فالذي يجب التنبيه إليه هو أن الميزة الكبرى التي تتسم بها الرمزية المنطقية(3) الدقيقة هي أنها تجنبنا مشقة النطق من كلام يخلو تماماً من كل معنى، وبخاصةٍ أن المناطقة ذكروا أن القضية الخالية من المعنى هي التي لا تشهد لها الخبرات ولا تقبل بالتجريب عليها، فإذا تأكدنا أن القضية الخاوية من المعنى لا تعتبر قضية مقبولة بان أن فكرة المعنى

(1) تهاني مصطفى، المنطق ودلالاته الرمزية، مكتبة الهدايا، القاهرة، 2016م، ص118. 119.

(2) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص250.

(3) كان فتجنشتين مثل برتراند رسل يهتم بالأسئلة الفلسفية التي يثيرها المنطق حتى أنه يمكن القول بأن المنطق الجديد عند رسل وفريجه كان هو الباب الذي دخل منه فتجنشتين إلى عالم الفلسفة.

متداولة داخل الإطار الفلسفي، ويذكر الدكتور زكي نجيب محمود أن كل قضية لا تجريبية هي ذات منطق أو منهج تجريبي(1).

ويؤكد كولبه أن ما يمتاز به المذهب الوضعي هو رفض كل فكرة متعلقة بالمعنى الطبيعي والتأكيد على اعتبار التجربة أصل ثابت وأساس لكل معرفة(2)، ويرى الدكتور عزمي إسلام أن كافة تحصيلات الحاصل والفروض التجريبية تفيد كافة القضايا ذات المعنى(3).

وهكذا يتبين لنا أن فلسفة التحليل المنطقي تقدم نفسها على أنها تُغني عن الميتافيزيقا، يقول أحد روادها: « دعوانا أن الفلسفة يجب أن تكون تحليلاً صرفاً، تحليلاً لقضايا العلوم بصفة خاصة»(4)، ويبدو هنا أن المقصود بالتحليل الصرف في فلسفة التحليل هو تحليل العبارة والألفاظ التي نستخدمها في لغتنا ونصوغ فيها المشكلات الفلسفية بحيث تحذف العبارة الفارغة عن المعنى لأنها لا يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، كما تستبعد تلك التي لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وبالتالي فهي تحمل فكرة التحليل المنطقي باعتباره محل التفكير الميتافيزيقي.

ثم يقرر فتجنشتين أن التحليل المنطقي يراد به إزالة اللبس والإبهام عن الأفكار وبيان أن عناصرها واضحة جلية متميزة، فتكون عملية التحليل متناولة اللغة التي نستخدمها في حياتنا ويصطنعها الباحثون في دراساتهم العلمية، وبهذا التحليل يمكن التمييز بين العبارات التي تحمل معنى، والعبارات الخالية من كل معنى(5)، كذلك يمكن القول أن الميزة الكبرى لأية لغة منطقية هي أنها توجه انتباهنا إلى الخواص الشكلية أو الخصائص الصورية للموضوعات(6).

أخلص مما سلف إلى أن شكل القضية هو الثابت وأن ما يتعلق بأجزاء القضية هو المتغير، وبناءً عليه يكون الإشكال الذي نحن بصدده وبحاجةٍ إلى إجابة عليه هو: هل كان فتجنشتين هو أول من تناول فكرة الثابت والمتغير على الناحية الفلسفية؟ والجواب أن فكرة الثابت والمتغير موجودة منذ فجر الفكر الإنساني بدليل ظهورها على يد أفلاطون وأرسطو ومن قبلهم سقراط ، لأن التحليل المنطقي يأتي بعده

(1) زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، طبعة القاهرة، 1948م، ط: الأولى، ص97.

(2) أزفلد كولبه، المدخل إلى الفلسفة، ت: أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948م، ط: الثانية، ص31.

(3) عزمي محمد إسلام، "فتجنشتين" ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف بمصر، 1998م، ص360.

(4) زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة النهضة، القاهرة، 1974م، ص16.

(5) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979م، ص272. وانظر: زكي نجيب محمود، خرافة الميتافيزيقا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953م، ص157.

(6) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص250.

فلسفة اللغة العادية التي تركب أو تترتب عليه، والمتغير هو كل جزء من أجزاء القضية في صورتها التي عرفت بها واستقرت عليها. وأُعيد الإشكال مرةً أخرى: هل كان فتجنشتين أول من تناول الثابت والمتغير؟ أقول إن فكرة الثابت والمتغير مطروحة منذ سنين بعيدة، والذي حدث في القرن العشرين هو احتواء تلك الفلسفة وإعادة صياغة موضوعاتها، ويعتبر فتجنشتين ـ كما يعتبر كوندرسيه ـ من أبرز العناصر التي تحملت عبئ فلسفة التحليل عرضاً لها، ودفاعاً عنها، ومناقشةً لأهم قضاياها في القرن العشرين.

المبحث الثاني: موضوع الثابت والمتغير:ـ

يرى فتجنشتين أن موضوع فلسفة التحليل يمكن أن يتنوع باعتبارات مختلفة، لأن هناك اعتراضات كثيرة على فلسفة التحليل، وهناك تساؤلات أبرزها: كيف تكون اللغة وبالتالي عملية التفكير ممكنة؟ ويسعى هو ذاته أن يجيب على هذا التساؤل، فيقدم نظرية عامة في بيان صلة اللغة بالعالم منوهاً إلى موضوعات فلسفة التحليل المنطقية بما ينعكس مع فكرة الثابت والمتغير، ويرسم تلك الموضوعات في صور تراكمية يمكن التقاطها من خلال ما يلي:ـ

الموضوع الأول: فكرة التقابل الجوهري بين بناء الجملة وبناء الواقعة:ومعناه أن العقل تنعكس صورته بالضرورة على الأنماط الأصلية للقول المنطقي، ثم يشرح العبارة مؤكداً أننا إذا توصلنا إلى فهم تركيب أي لغة علمية صحيحة فقد أصبح في وسعنا أن نحدد بطريقة عامة البناء الأنطولوجي للواقع الموضوعي نفسه(1).

وإذا كان الموضوع الأول هو ما يتعلق بالبناء الأنطولوجي للواقع الموضوعي فقد وجد التقابل الجوهري بين بناء الجملة وبناء الواقعة، فإننا إذا قلنا مثلاً: « بأن كل مهمة المنطق الصوري(2) هي أن يمدنا بالقواعد اللازمة للانتقال منطقياً من أية عبارة إلى أخرى فإن هذا لن يمنعنا من القول بأنه قد يكون في وسع الفلسفة التحليلية للغة والمنطق أن تعيننا على الاهتداء إلى السمات الميتافيزيقية الحقيقية التي تصف الوجود في الواقع ونفس الأمر»(3).

(1) محمود صبحي، الفلسفة واتجاهاتها المعاصرة، طبعة القاهرة، 1985م، ص243.

(2) المنطق الصوري مصطلح يطلق على المنطق اليوناني، والمنطق الأرسطي، والمنطق الشكلي، والمنطق القديم، وبالتالي فعبارة المنطق الصوري يستدل بها على أنواع كثيرة من المنطق وتكون التسميات بديلة لتسمية أخرى.

(3) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص243.

من المؤكد أن موضوع الفلسفة التحليلية يرتبط ارتباطاً أكيداً بغاياتها أو على الأقل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمهامها، فهل يوجد لذلك أثراً لدى فتجنشتين؟ والجواب كما يحكيه فتجنشتين نفسه أن مهام فلسفة التحليل المنطقي مزدوجة ومتعددة وأبرز مهامها الأساسية تتمثل في بيان أن كل قضية هي صورة لواقعةٍ ما، وعلى هذا تصبح تلك المهمة مركزة في جملة محددة لكن لا نستطيع أن نعبر عنها بعبارةٍ لغوية لأنه ليس من شأن القضية(1) أن تخبرنا بشيء كما أنها لا يمكن أن تقول لنا شيئاً عن نفسها(2).

وحتى يكون الموضوع الأول قد ارتبط بالمهمة الفلسفية برباطٍ قوي فلابد من ضرب المثال ولو على سبيل الافتراض(3) فنقول لابد لكل قضية من أن تنطوي على موضوع ومحمول "والموضوعوالمحمول من صفات القضية الحملية"، ولما كان في استطاعتنا أن نعبر عن هذا المعنى في قضية أخرى لو قلنا أنه لابد لكل قضية أن تتخذ الشكل التالي: (إما أ أو ب)، لما كان في وسعنا أن نعبر عن هذه القضية في قضية أخرى، وهنا تبدو فكرة الثابت، فالقضية لو قبلت الانطواء على موضوع ومحمول من غير أن تدخل في قضية أخرى فهذا هو الثابت، وبالتالي يكون الموضوع الأول قد حدد الثابت والمتغير على ناحية تطبيقية.

الموضوع الثاني: اختصاص الفيلسوف بعنصر مستقل: ومعناه أن كل قضية يستطيع الفيلسوف أن يتناولها في سياق لغوي لابد أن يستخدم فيها اللغة باعتبارها الشكل الثابت ثم ينطوي المعنى الذي يدعم القضية الأصلية وأقصد به المشترك بين الثابت والمتغير، فالفيلسوف في وسعه أن يعبر عن الثابت والمتغير بما في عقله لأنه صانع المعاني وصائغها، والقاسم المشترك بين الألفاظ والمعاني هو الذي يدور معه. وبناءً عليه تكون موضوعات فلسفة التحليل في الثابت والمتغير قد نهضت على دعامتين أساسيتين كما سلف القول(4).

من الممكن القول على ناحية السلب أنه « ليس في وسع الفيلسوف أن يعبر بواسطة اللغة عن ذلك العنصر المشترك الذي يقول بوجوده بين اللغة المنطقية المكتملة من جهة، وما تمثله هذه اللغة في الواقع

(1) القضية المنطقية صامتة لا تتكلم من حيث هي ألفاظ "قضية منطقية" وإنما الذي يتحدث عنها هو المعنى الكامن فيها.

(2) عبد الحميد صالح، الفلسفة التحليلية وموقفنا منها، مطبعة الهلال، بيروت، 2007م، ص48.

(3) الافتراض مسألة بحثية تتعلق بالاتجاهات الفلسفية معبرة في إطار معنوي ترتسم فيه الصور الأساسية لكل نمط فكري فلسفي على حدا، ثم تجتمع تلك المسائل لتكون دلالة متكاملة.

(4) حسن شومان، الفلسفة التحليلية في إطار نقدي، مطبعة الهدى، القاهرة، 2015م، ص73.

من جهةٍ أخرى»(1)، وبناءً عليه يكون الممتنع أو السالب هو التعبير بواسطة اللغة عن العنصر المشترك، أما لماذا؟ فلأن اللغة تعجز عن نقل هذا التعبير لأن المعنى كامن في كل مفردات الجملة.

لست أدري الحالة التي يكون عليها الفيلسوف إذا عجز عن استخدام آلاته، فيعبر عن العنصر المشترك باللغة، وماذا بعد؟ والجواب أن الفيلسوف هنا مثل المصور كل ما يملكه هو أن يظهرنا على ما هو موجود بالفعل لكنه لا يستطيع أن يقرر شيئاً، ولعل السبب في ذلك أن مهمة اللغة هي أن تقرر وقائع لكنها لا تستطيع أن تشابه بين الوقائع والقضايا التي تقررها.

اللغة في جميع أحوالها كألفاظ ليست ناطقة، إنما يستنطقها الذي يتعامل بها مستخدماً وسائل تقريرية كأن يقول: نقول اللغة أو نتحدث اللغة وما إلى ذلك من الصيغ التي يتم من خلالها استنطاق اللغة لا نقد اللغة، فالثابت هو ألفاظ اللغة، أما المتغير فهو دلالات اللغة، وبناءً عليه يكون الموضوع الثاني مما يتعلق بالثابت والمتغير حسب ما دلنا عليه فتجنشتين.

استطيع القول بأن الفيلسوف حين يحاول استخدام اللغة لكي يظهرنا على طبيعة البناء الميتافيزيقي الحقيقي للعالم الواقعي فإنه عندئذٍ لابد أن يجد نفسه مضطراً إلى اصطناع عبارات خالية تماماً من كل معنى، وهذا هو الذي دفع فتجنشتين إلى القول بأن كل مالا يستطيع المرء أن يتكلم عنه لابد أن يحيطه بالصمت(2).

لقد عزف فتجنشتين لحناً قوياً وهو يتناول مهمة الفلسفة ليخرج منها الثابت والمتغير كموضوعات قائمة في فلسفته، لكن بقيت مسألة أخرى وأقصد بها مهمة الفلسفة في بناء الثابت والمتغير فيرى فتجنشتين أن من مهام الفلسفة أنها نشاط أو عملية توضيحية يهدف الباحث من ورائها إلى حصر الأفكار الغامضة، فإذا تم حصرها تحققت الفلسفة من أن الأجوبة التي تقدمها لأسئلتها هي مما لا يمكن التعبير عنها، أما لماذا؟ فلأنها لم تحسن وضع تلك الأسئلة ولم تستطيع أن تعبر عنها على الوجه الصحيح(3).

الموضوع الثالث: سعة المتغير وضيق الثابت:ومعناه أن الشكل يكون ضيقاً من حيث هو مفردات لغوية، أما المتغير فيكون متسعاً من أنه يضم المعنى، ولذا حين تتوجه الأسئلة إلى الفلسفة ـ وهي نشاط أو عمل

(1) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص243.

(2) عبد العزيز طلبة، مشكلات الفلسفة المعاصرة، مكتبة النور، القاهرة، 2016م، ص135.

(3) العجز اللغوي يأتي نتيجة ضيق اللفظ من حيث الشكل وثباته، ومن حيث المعنى، أما إذا نظرنا إلى المتغير وجدنا المعاني التي يحفل بها اللفظ كافية في تقديم الإجابات الممتازة من ناحية المعنى لا من ناحية الألفاظ، وبناءٍ عليه تصبح مهمة الألفاظ في شكلها ثابتة وفي معانيها متغيرة وهو الحل الأمثل لفكرتي الثابت والمتغير في فلسفة فتجنشتين التحليلية.

توضيحي ـ يتم من خلالها حصر الأفكار المختلطة و الغامضة، وهذا الحصر لغوي(1)، فإذا توقفت الفلسفة أمام الأسئلة التي حصرت الأفكار المختلطة ـ وقد تبين لها أن الأجوبة التي ستقدمها هي مما لا يمكن التعبير عنه ـ حينئذٍ نفهم أن الأسئلة لم يُحسن وضعها على ناحيةٍ صحيحة، فإذا كان في الإمكان وضع السؤال على ناحيةٍ صحيحة فمن الإمكان أيضاً وضع الجواب على ناحيةٍ صحيحة، لكن متى يكون ذلك؟ الواضح أن الإجابة عليه تكون بنعم أو لا أما غير ذلك فإن المسألة تكون صعبة(2).

يمكن القول بأن الثابت يشبه المتن أو القصيدة؛ لأنه الشكل الذي وردت عليه، أما المتغير فهو الذي يشرح المتن ويفصل القول في القصيدة فيأتي بالشواهد البعيدة أو القريبة، حينئذٍ تتحقق معه فلسفة المعنى المتغير أكثر مما تتحقق معه فلسفة المعنى الثابت.

يعتقد الفلاسفة النمطيون أن الفلسفة التحليلية تقوم على نقطة البداية، وهي النظرة الوجودية في المضامين الأساسية أو المقومات النهائية للعالم، وإنها تتكون من موضوعات منتظمة مرتبة على صورة وقائع أطلق عليها فتجنشتين اسم "الوقائع الذرية" من حيث أنها لا تقبل التحليل إلى وقائع أخرى تكون أبسط منها.

الموضوع الرابع: الوقائع الذرية: ومعناه أن موضوعات فلسفة التحليل وما يتعلق منها بالثابت والمتغير لا تقبل أن تتداخل في وقائع ذرية(3) أصغر منها أو أبسط، صحيحٌ أنها تقبل تحليل الوقائع الذرية لكنها لا تدخل في الأدنى أو ردها إلى وقائع ذرية أخرى.

والسؤال الآن ما المراد بالوقائع الذرية؟ أو بعبارة أيسر ما هي الوقائع الذرية؟ الجواب أن الواقعة الذرية مركب يضم مجموعة من الموضوعات والأشياء والكائنات التي تنحصر ماهية كلٍ منها في كونه عنصراً يدخل في تركيب تلك الواقعة الذرية. لكن الموضوعات التي تُكوِن عناصر الواقعة الذرية لا تقبل هي نفسها التحليل؛ لأنها تمثل جوهر العالم والموضوعات حسب رأي فتجنشتين، ومآل ذلك إلى أنها لا

(1) يمكن أن نضع الحصر في عبارات إرشادية كأن نقول مثلاً: يدور هذا المعنى في عبارات من أبرزها 1. 2. 3. 4، ثم ننتقل إلى المعنى وهو المتغير فنجد أنه يتسع كثيراً جداً.

(2) أنتوني فير، المشكلات التي تواجه فلسفة التحليل، ت: هاني فؤاد، دار المعرفة، بيروت، 2011م، ص212.

(3) تمثل فلسفة فتجنشتين نقطة التقاء التيارين الأساسيين اللذين عبر عنهما رائدا الفلسفة التحليلية برتراند رسل وجورج مور. فإذا كان فتجنشتين قد تأثر برسل وأخذ عنه فكرة الذرية المنطقية التي بنى عليها تحليله للعالم واللغة، وتطبيق التحليل الرمزي وتكوين لغة رمزية، فإنه (أي فتجنشتين) تأثر بمور تأثراً كبيراً عندما نقد فلسفته المبكرة بنفسه، واستمد معايير هذا النقد من منطق الحس السليم ومن لغة الحياة اليومية بحيث أصبح كتابه "بحوث فلسفية" هو الكتاب الأساسي لفلسفة اللغة الجارية التي ازدهرت بعد ذلك.

توجد إلا في علاقة مع موضوعات أخرى وهي التي تُكوِن الوقائع، والوقائع متمايزة ومستقلة كل منها عن الأخرى(1).

لكن هل يوجد حدٌ لإمكانيات التآلف أو التركيب الخاص لكل موضوع من الموضوعات؟ أم هو فاصل ليس يقبل التآلف؟ يرى كثيرٌ من الدارسين أن فتجنشتين يسلم بأن الوقائع قد تكون مجهولة لكنها تنسب جميعاً إلى نوعٍ واحد، ويضرب بذلك مثالاً هو "أن سقراط حكيم" ويقول إن هذا القول ينطوي على موضوعين ("سقراط" و "حكيم") ويتألف من انضمام الواحد منهما إلى الآخر، وبناءً عليه نسميه بالواقعة الذرية، ثم ينتقل إلى الحديث عن دالة القضية، ومتغير القضية، وضرورة إبداع رمزية تخضع لقواعد النحو المنطقي أو الترتيب المنطقي، وبناءً عليه ينتقل بموضوع الثابت والمتغير إلى موضوع القضية من حيث هو مجموع أو كل، ثم يقرر في وضوحٍ تام القول بأنه يمكن أن يقال إن الموضوعات جميعاً تملكها اللغة على حدٍ سواء، وأما إذا قلنا إن كل الموضوعات متشابهة تماماً لكانت متطابقة وحينئذٍ تُكون الموضوعات موضوعاً واحداً في العالم كله وهذا القول لن ينطوي على تقرير لأية حقيقة منطقية، وهنا منطقة الخطورة، أما لماذا؟ فلأنه سيكون مجرد تقرير بخاصية عرضية من خصائص العالم وعندها تسقط الهوية الذاتية التي نستطيع عن طريقها تحديد وضع أي موضوع، بل لابد لنا من استخدام بدائل عنها والبديل لا يكون كالأصل.

الموضوع الخامس: ارتباط المفهوم بالحقيقة:يرى فتجنشتين ضرورة ارتباط الألفاظ بالحقائق؛ لأن الخصائص الصورية للموضوعات والوقائع نكون قد انتبهنا إليها من استبعاد كافة الاحتمالات، وتبقى الميزة الكبرى لأي لغة منطقية هي أنها توجه انتباهنا إلى الخواص الصورية من موضوعات ووقائع، والسر في ذلك أنها تظهره أو تكشف عنه دون أن تقرره أو تنص عليه. وتبعاً لذلك يرى فتجنشتين أن دراسة الثابت والمتغير لها ارتباط نوعي بالوقائع الذرية؛ لأنها من جنسها ويصعب إبعادها عنها(2).

لقد ترتب على تلك الفكرة ظهور موضوعات كثيرة نتيجة الاستخدام اللغوي الغير محدد، وكثيراً ما نستخدم مفردات لغوية أو مفاهيم صحيحة لكننا لا نتصورها كذلك، وإذا سلمنا بأنها متغيرات فقد ترتب

(1) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص245.

(2) عيسى تعيلب، فلسفة التحليل المنطقي ما لها وما عليها، طبعة كركوك، الموصل، 1998م، ص106.

على ذلك أن يكون من المستحيل إصدار أحكام نصطنعها من قبيل قولنا مثلاً (هناك موضوعات) كما نقول (ليس هناك سوى واحد)(1).

لكن تبقى نقطة مهمة يجب الإشارة إليها وهي ما يتعلق بفكرة الرمزية المنطقية حين نستخدم الرموز بدلاً من الكلمات(2)، والميزة الكبرى التي تبنتها فلسفة التحليل هي المتعلقة بالرمزية المنطقية الدقيقة، فإذا انتقلنا إلى فائدة الرمزية المنطقية الدقيقة تبين «أنها تجنبنا مشقة النطق بكلام يخلو تماماً من كل معنى»(3).

لا يخفى أن الاستعمال الصحيح للرموز عملية سهلة تتحقق بشكل مباشر شريطة أن نعرف لكل رمز دلالته وما إذا كانت تنطبق عليه أم لا، ونحن في استعمالنا للرموز الجبرية نحدد دلالتها الرقمية،فإذا قلنا إن (س ص) يساوي (س ص) فمعنى ذلك أننا وضعنا لـ(س ص) قيمة رقمية هي (4 + 4)، وحين انتقلنا إلى ما بعد "يساوي" تبين أنها (4 + 4) وهو ما يعرف بالرمز الاتفاقي أو الدلالة الاتفاقية(4).

ويهمنا هنا التركيز على أن موضوعات الفلسفة التحليلية ليست محصورة على الدقة، حسبنا أننا قدمنا منها ما أمكننا الوصول إليه والتعرف عليه، لكن تبقى مسألة مهمة في هذا المضمار وهي "المنطق" هل هو مجرد علاقة يساوي، أو ناقص، أو زائد؟ والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يمكن أن تتحول الفلسفة التحليلية على يد فتجنشتين وأنصاره إلى فلسفة رمزية تطبق الرمز على جميع مباحثها؟ أم تظل في إطارها الذي وضعه لها فتجنشتين وزملائه؟ الحقيقة أن كل العلوم النظرية والتطبيقية تحاول تقليد الرموز الرياضية بحيث تدخر الوقت والجهد، وتعدل في السلوكيات الإنسانية.

أخلص مما سلف إلى أن ما يتعلق بموضوع الثابت والمتغير قد طُرحت فيه آراءٌ كثيرة، بعضها استمد وجوده مما سجله فتجنشتين نفسه، وبعضها أمكن استخلاصه من الكتابات التي دارت حول فلسفة فتجنشتين، ولقد اعتمدت في تحليلي للثابت والمتغير أو الشكل والمعنى على ما كتبه فتجنشتين وحاولت استبيانه من بين ما كتب عنه ليكون ذلك أبلغ في الدلالة وأقرب إلى الحقيقة.

(1) حسن سلطان، الفلسفة التحليلية "دراسة في الفهم الإنساني"، دار القلم، الكويت، 1998م، ص90.

(2) تعتبر الفلسفة الرمزية هي صاحبة الحق الأصيل في استعمال الرموز الجبرية بدل المفردات الكلامية، وإذا كان المسلمون قد استخدموا الرموز في كتبهم المنطقية للاختصار فمن المؤكد أن ذلك يعطيهم حظ السبق لغيرهم في هذا الميدان، ومن أبرز الذين استعملوا الرموز المنطقية قطب الدين الرازي في كتابه "تحرير القواعد المنطقية".

(3) زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص251.

(4) محمود الطويل، الدلالات المنطقية وأثرها في الحياة العملية، مكتبة الغد، القاهرة، 2015م، ص65.

المبحث الثالث: أثر الثابت والمتغير في المستقبل:ـ

يعتقد فتجنشتين أن الثابت والمتغير يمكن توظيفهما فيما يتعلق بالمستقبل، ويظهر ذلك من فلسفته الأولى وفلسفته المتأخرة(1)، ومادامت الفلسفة هي تحليل اللغة(2)، واللغة هي تحليل الفلسفة، فأين يحدث التحليل المنطقي للغة؟

إن فتجنشتين يريد أن يخطو للمستقبل ويضع الفهم الصحيح للفلسفة كونه الوسيلة الفاعلة في هذا الميدان فيقول: «إن الفهم الصحيح للفلسفة يمكن أن يكون هو هذا الذي أريده وهو ألا نقول شيئاً إلا مما يمكن قوله من قضايا العلم الطبيعي، فنبرهن دائماً عن طريق علامات وألفاظ معينة في قضايا قائمة»(3)، وإذا كانت الخطوة الأولى للمستقبل تبدأ من فهم دقيق للفلسفة فإن الرجل يضع إطاراً معرفياً للعالم الذي يعيش فيه، ويعتبر تحليل اللغة هو هدفه من فلسفته الأولى، وكذلك وسيلته للقفز للمستقبل، لكن ما هو معيار صحة استخدام الألفاظ في اللغة التي بها يتخاطب الناس، وعن طريقها يتفاهمون، ومن خلال التعامل بها يمكن تحقيق القفز للمستقبل؟ الجواب نجده في قوله: « إننا حين نتكلم عن اللغة (الألفاظ والعبارات) فإننا نتكلم عن اللغة اليومية، فالبحث الفلسفي يكون بإعادة ألفاظ اللغة من استخدامها الميتافيزيقي إلى الطريقة التي تُستخدم بها في الحياة اليومية »(4).إنه يقفز إلى الأمام دائماً لكن من خلال دولاب العمل الذي اختاره لتلك الغاية، فاللغة هي الفكر ولا يوجد فاصل بينهما، وبتعبير آخر هما وجهان لعملة واحدة، فاللغة مجموعة قضايا ولها وظيفة أساسية وهي تصوير الوجود الخارجي، وكما أن اللغة تنحل إلى قضايا فالعالم هو الآخر ينحل إلى قضايا، وما دامت هي الوسيلة للتخاطب وهي القلب النابض للحياة فإن وظيفتها هي توصيل المعاني والأفكار إلى الآخرين والتأثير فيهم، وبذلك يرى فتجنشتين أن التفاهم والتخاطب والاتفاق على المعاني المتداولة كلها أمور تساهم فيالقفز إلى الأمام بما يحقق المصالح المشتركة للبشرية، لكن لابد أن يضع في حسبانه كلاً من الثابت والمتغير عند النظر فيما يتعلق ببنية تحصيل الحاصل، ثم يعيد النظر فيما سلف ويغير خطته أو منهجه حتى ينتهي إلى ضرورة إحداث نوع من التفاهم بين الإنسان في واقعه والإنسان في تصوره، فواقع الإنسان يختلف كثيراً عن تصوره، واللغة تصوير للواقع الخارجي ولا يمكن الاستفادة باللغة إلا إذا كنا على يقين وفهم الوعي للنظرية

(1) فلسفته الأولى تمثل مرحلة الفكر الثوري الذي يميل إلى التغلب على الأحداث عن طريق فرض القوة، أما فلسفته المتأخرة والتي عبر عنها في كتابه "أبحاث فلسفية" فهي مرحلة الفكر المتزن ودراسة الأمور بعيداً عن الفوضى والانفعال.

(2) عزمي محمد إسلام، مرجع سبق ذكره، ص138.

(3) فوزي نصر، الفلسفة التحليلية "فتجنشتين نموذجاً"، طبعة القاهرة، 1995م، ص121.

(4) عزمي محمد إسلام، مرجع سبق ذكره، ص150.

التصويرية، يقول أحد الباحثين: « إن فتجنشتين أعد عدته قفزاً للأمام وفاته أن يصوغ قضيته في قالب دلالي يعيد إلى العقل سلطة التقدير ويبعده عن شهوة الانتصار، حينئذٍ يصح أن يقول عن هذا الإنسان إنه إنسان المستقبل وقد تسلح بأساليب وخطط الفلسفة التحليلية في جانبها الثابت والمتغير. كذلك يرى أن القفز إلى الأمام يجب أن تكون له وسائله بحيث يكون مسلحاً بتلك الوسائل، ويتخذ من القضايا وسائل إحداثية لتحقيق الأهداف التي عقدها في رأسه بدليل سعيه إلى تحقيق الفكرة الثابتة من وجود صلة بين اللغة ومبدأ التحقق الذي يقوم على أن معنى العبارة يعتمد على طريقة تحليلها»(1).

إن فتجنشتين جديرٌ بأن يدع القضايا الوهمية جانباً ويركز على القضايا ذات التفسير العلمي الصحيح، وقد جرى في مفرداته أن قضايا المنطق الصوري تحصيلات حاصل؛ لأنها لا تخبرنا بأي خبر عن الواقع الخارجي وإنما هي مجرد تحليل لما نعرفه بالفعل، لكننا لا نستطيع أن نستغني عنها من حيث اللغة وإن كنا نستطيع أن نستغني عنها من حيث الصدق والكذب، ويرى أن المستقبل لا يمكننا الوصول إليه إلا إذا تخلصنا من الأفكار القائمة على تحصيل حاصل(2)، ويضرب مثالاً يراه محققاً غايته فيقول السماء إما أن تمطر أو لا تمطر، فإذا نظرنا إليها من حيث هي قضية أطلقنا عليها اسم "تحصيل حاصل"؛ لأنها لم تخبرني عن شيء عن حالة الطقس وما إذا كان ممطراً أو غير ممطر(3)؛ لأن كون السماء إما أن تمطر أو لا تمطر قد أعطانا كل الاحتمالات الممكنة التي لا يمكن أن يخرج عنها الواقع الخارجي، فكأننا لم نُزيد على قولنا كلمة الطقس بغير إضافة(4).

لست أرى الخطوات التي سعى إليها فتجنشتين كافية لتحقيق قفزة للمستقبل، ويمكنني القول بأن فلسفته الثانية يمكن أن تحقق حلم القفز إلى المستقبل مادامت القضية اللغوية غير قادرة على تحقيق تلك الغاية. لكن تبقى نقطة جوهرية وهي أن قضايا الرياضة عنده يقينية الصدق، وحتى نقفز إلى المستقبل يجب أن نضع في جعبتنا الثقافية كل ما يوصل إلى هذا الصدق واليقين، وتلك مسألة تساهم في البناء الحضاري والتقدم العلمي.

(1) حسن سلطان، فلسفة فتجنشتين في الميزان، طبعة القاهرة، 1995م، ص43.

(2) تحصيل حاصل معناها أنها لا تقدم جديداً وإنما تكرر ذكر ما هو معروف، ولذا فإن الاستغناء عنها يكون هو الحل الأمثل.

(3) أرى أن هذا التعليق قد لا يستقيم مع فلسفته التحليلية؛ لأنه سبق أن قال "اللغة صامتة" من حيث الشكل، وبناءً عليه فلماذا يطلب من اللغة أن تنطق فتخبره عن حالة الطقس وهو يرى السماء تمطر أو لا تمطر؟

(4) عزمي إسلام، مرجع سبق ذكره، ص289.

لقد اعتقد فتجنشتين أن مبدأ السببية يمكن أن يتم تحليله إلى أجزاء صغيرة بنفس الطريقة التي حلل بها مبدأ الاستقراء، والاستقراء في معناه تتبع لحالاتٍ فردية، والظواهر الجزئية وصولاً إلى حكم عام كلي، ولذا نراه يطبق هذا بالنسبة للتنبؤ بالمستقبل فيقرر أن أحداث المستقبل لا يمكن استدلالها من أحداث الحاضر؛ لأن ضرورة حدوث شيءٍ ما لابد أن يسبقه حدوث شيء قبله وهي الخطوة الفاعلة في مبدأ السببية من الناحية الواقعية.

اعتقد أن فتجنشتين تقدم خطوة عميقة نحو الأشياء البسيطة، وإما أن يصل إلى حقائق الأشياء على وجه العموم فما أظنه جديراً بها، وليثه استخدم الدلالات الميتافيزيقية الخالية من المعنى ليحقق بها بعض أهدافه التقدمية.

أخلص مما سلف إلى أن الثابت والمتغير عند فتجنشتين قد أعاد النظر فيهما مرات، وانتهى إلى نتيجة أرى أن أصولها صحيحة والتمسك بها هو أيضاً صحيح، وأنوه إلى أن خطته للقفز بنا نحو المستقبل تقوم على ما يلي:ـ

1- من ناحية اللغة نجد الفيلسوف يحذف من قاموسه جميع الألفاظ الخاوية من المعنى، ويركز فقط على الجمل ذات الدلالة الثابتة(1) فيقرر أننا إذا أردنا القفز إلى المستقبل فيجب التنازل عن القضايا التصورية الخالية من المعنى، وإذا تنازل هو عن المفردات التي لا تقدم جديداً فمعناه أنه سلك خطاً متميزاً، وبناءً عليه أرى هذه الطريقة هي خطوة استبقائية ومنهج يقوم على التحليل الدقيق للأشياء ثم التمسك لما له جدوى والتخلي عما لا جدوى منه.

2- التسلح بالفهم الحيوي ومعناه أن المستقبل فيه حياة وكيف نصلها ونحن لم نكن مستعدين لها، لكنه يرى أن عملية الاستعداد لها تستلزم خطوات عملية يكون الفرد فيها قد أخلى صفحة فكره من كل ما لا دليل عليه ويحتفظ فقط بالفكر الذي عليه دليل، يقول نيتشه « لقد أسقطت من حسباني كل فكر كنت قد استقبلته من قبل، فلما نزعت إلى اختباره ثبت لدي أنني لم أكن على صواب فيما اعتقدته أولاً»(2).

3- أن الرجل يريد أن يتسلح للمستقبل بأفكار صحيحة لا بأفكار ثبت فسادها، بل يرى أن القفز للمستقبل يكمن في خطوات لاحقة تبدأ الخطوة الأولى بالنظر إلى المنطوق المتحرر وهو الجملة ذات الفائدة، وكلما اختبرتها بان صوابها، أما الأخرى كلما اختبرتها بان فسادها فهو أمام فكرتين يتمسك بواحدة وهي التي

(1) كامل محمد عويضة، لدفيج فتجنشتين: فيلسوف الفلسفة الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ط: الأولى، ص204.

(2) يحي منظور، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: قراءة في الفكر الإنساني، طبعة القاهرة، 2016م، ص32. 33.

تهديه إلى الصواب، ويتنازل عن الأخرى لأنها لا تقدم له دليلاً ويأمن على نفسه منها، ويعلن أن طريقه هو الاختبار الحقيقي لها، وهو في رأيي يقترب من ديكارت في هذا الجانب حين قرر الأخير ألا يضع في عقله أفكاراً ما لم تكن صحيحة وعلى ناحية يقينية(1).

4- يعتقد فتجنشتين أن المستقبل لابد فيه من عزيمة، ويرى أن هذه العزيمة لا يكون مصدرها التحليل اللفظي وإنما مصدرها تحليل المعنى، والفرق بين تحليل اللفظ والمعنى كبير جداً، بل يعتقد أن تحليل اللفظ إذا أفاد بضوابطه وخروجه من دائرة الشكل إلى دائرة المتغير ـ بحيث يتم اختباره على ناحيةٍ صحيحة ـ فلا حرج من اعتماده؛ لأن المستقبل خطوة منتظرة ولابد فيها من تضافر الجهود، ويعتقد فتجنشتين أن هناك حزمة نقاط يجب مراعاتها إذا أردنا الخطو إلى المستقبل على ناحيةٍ صحيحة.

أضف إلى ما سبق أن الاتجاهات السائدة في الفلسفة الحديثة والمعاصرة لا يمكنها التخلص من فلسفة التحليل باعتبارها الميزان الدقيق الذي تنضبط به الأفكار والألفاظ، وتتجه كلها إلى المستقبل محملةً بما أعدت نفسها له.

النتائج:

1. تعتبر فكرة الثابت والمتغير من أبرز العلامات المسجلة في فلسفة التحليل التي تبناها فتجنشتين وزملاؤه نظراً لاعتمادها على فكرة الوقائع الذرية، ودورانها معها بصورة شبه آلية، حتى إذا قيل فلسفة التحليل فُهم مباشرةً أنها "فلسفة الثابت والمتغير".

2. إذا كانت فكرة الثابت تعني الشكل، والمتغير تعني المضمون (كما تعني العلاقات) فمن المؤكد أن تكون تلك الفلسفة قد خطت خطوات واسعة نحو الوصول إلى المعالجة الدقيقة لمشكلات العصر وتحويلها من جمل إلى مفردات، ومن مفردات إلى رموز تساعد على فهم تلك الفلسفة وتساهم في بناء أنساق معرفية جديدة، وتقدم الفكر الإنساني في صورةٍ أقرب إلى العقلانية المتأملة من النظرية الجافة.

3. أن فلسفة التحليل وهي تتناول النمط الفلسفي المتفق عليه بين فتجنشتين وزملائه إنما ترسم لنفسها الخطوة الراقية التي تعمل على بلوغها، وكأنها خلقت من وقتها ولم تحتاج إلى شيء أخر ورائها.

4. أن ما قام به فتجنشتين في هذا البناء الذي يوفر الجهد على كثيرٍ من البشر يمثل قيمة يمكن أن يلتمسها الباحث من فلسفة فتجنشتين وآرائه دائعة السيط.

(1) ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ت: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، تاريخ: بدون، التأمل الأول، ص71.

5. أن الثابت كما قلت هو الشكل، وأن المتغير هو العلاقات، فإذا استقر هذا التعريف لدى المتعاملين به أمكن القول بأن فلسفة التحليل قد أدت واجباً علمياً قدمت له ودافعت عنه.

6. أن دلالات القضية التحليلية لها مغزى يمكن التعويل عليه أو الالتفات إليه، لكن هذا لا يمنع من القول بأن فتجنشتين وزملائه قدموا نمطاً معرفياً مميزاً استطاعوا من خلاله تثبيت الأفكار التي توصلوا إليها، وهي مسألة مهمة ينظر إليها عندما تكون المسألة محصورة في المهام التي تطلع بها والنتائج المترتبة عليها.

التوصيات:ـ

1. يوصي الباحث بضرورة الالتفات إلى الفلسفات كلها مادامت تهدف إلى خدمة الإنسانية، إذ ليس من الصواب استبعاد فلسفة بذل أصحابها فيها جهوداً في محاولةٍ منهم لإطلاق إشارة البحث الحق وأفنوا أعمارهم لأجل هذا الهدف، وبالتالي فإن مخاصمة تلك الجهود ليست مما يُقبل والعلة واضحة.

2. أن دراسة الثابت والمتغير يمكن أن يتم تناولها ليس في الفلسفة وحدها وإنما يتم تناولها في كل العلوم ونحن كثيراً ما سمعنا عنها، لكن الذي يعنيني هو الإطار الفلسفي الذي أسعى إلى تحقيقه باعتباري أحد العناصر القائمة على خدمته، ومهما بذلت فإني أُقر بأن العلم لا نهاية لحدوده ولا يعرف الكلمة الأخيرة.

3. توصي الدراسة بضرورة وضع أُطر إحصائية تتناول موضوعات الفلسفة بكل أنواعها فتكون بمثابة السجل القرائي لمن يريد التعرف عليها، ونحن في دراستنا الفلسفية لا نتخذ مواقف عدائية من فكر لصالح آخر، والفكر الإنساني حلقات متواصلة، بل بينها نوع من الترابط وفق قانون "التراكمية"، ومن يعادي فكراً أو ينتقص فكراً فإنما يعارض الحقائق القائمة إلا أن يكون غرضه الدفاع عن الفكر، وحتى وإن عاداه فالموضوعية تفرض عليه أن يتقبل ما هو صحيحٌ فيه.

4. أن فكرة الثابت والمتغير في الفلسفة التحليلية على وجه العموم تحتاج دراسة متكاملة يؤدي كل باحث دوره بشأنها، فإذا تكاشفت تلك العلوم حول تلك الفكرة فمن المؤكد أن نتائجها سوف تكون طيبة.

المقترحات:ـ

1. الإطار العام للفلسفة التحليلية (دراسة نقدية).

2. فلسفة فتجنشتين في الميزان.

3. فكرة الثابت والمتغير في الفكر الإنساني (دراسة تأصيلية).

4. أثر الفلسفة التحليلية على ثقافة القرن العشرين.

5. الفلسفة التحليلية من خلال مؤلفات رجالها.

المصادر والمراجع:ـ

1. أزفلد كولبه، المدخل إلى الفلسفة، ت: أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948م، ط2.
2. أنتوني فير، المشكلات التي تواجه فلسفة التحليل، ت: هاني فؤاد، دار المعرفة، بيروت، 2011م.
3. تهاني مصطفى، المنطق ودلالاته الرمزية، مكتبة الهدايا، القاهرة، 2016م.
4. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979م.
5. حسن سلطان، الفلسفة التحليلية "دراسة في الفهم الإنساني"، دار القلم، الكويت، 1998م.
6. حسن سلطان، فلسفة فتجنشتين في الميزان، طبعة القاهرة، 1995م.
7. حسن شومان، الفلسفة التحليلية في إطار نقدي، مطبعة الهدى، القاهرة، 2015م.
8. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، 1978م، ج: الأول.
9. زكي نجيب محمود، خرافة الميتافيزيقا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953م.
10. زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، طبعة القاهرة، 1948م، ط1.
11. زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة النهضة، القاهرة، 1974م.
12. عبد الحميد صالح، الفلسفة التحليلية وموقفنا منها، مطبعة الهلال، بيروت، 2007م.
13. عبد العزيز طلبة، مشكلات الفلسفة المعاصرة، مكتبة النور، القاهرة، 2016م.
14. عزمي محمد إسلام، "فتجنشتين" ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف بمصر، 1998م.
15. علي صبحي، الفلسفة التحليلية "فتجنشتين نموذجاً"، طبعة دار المعرفة، بيروت، 1998م.
16. عيسى تعيلب، فلسفة التحليل المنطقي ما لها وما عليها، طبعة كركوك، الموصل، 1998م.
17. فوزي نصر، الفلسفة التحليلية "فتجنشتين نموذجاً"، طبعة القاهرة، 1995م.
18. كامل محمد عويضة، لدفيج فتجنشتين: فيلسوف الفلسفة الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ط1.
19. محسن طلبة، مفهوم القضية في فلسفة التحليل "فتجنشتين نموذجاً"، مكتبة الأهرام، القاهرة، 1999م.
20. محمد سلطان، فلسفة فتجنشتين بين التحول والتحليل، مطبعة نهر النيل، القاهرة، 1998م.
21. محمود الطويل، الدلالات المنطقية وأثرها في الحياة العملية، مكتبة الغد، القاهرة، 2015م.
22. محمود حسن خليل، فتجنشتين وفلسفته التحليلية، طبعة بيروت، 1998م.
23. محمود صبحي، الفلسفة واتجاهاتها المعاصرة، طبعة القاهرة، 1985م.
24. موريس فيشر، نظرات في فلسفة التحليل المنطقي، ت: السيد حسن شكري، دار المعرفة، بيروت، 2015م.
25. يحي منظور، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: قراءة في الفكر الإنساني، طبعة القاهرة، 2016م.

CONSTANTS AND VARIABLES IN WITTGENSTEIN'S PHILOSOPHY

Qamar Muftah Al-Ruimi

Department of Philosophy and Sociology,Faculty of Arts and Sciences Msallata, Elmergib University,Libya

Abstract

The research aims to show that Wittgenstein had a new philosophy of logic and language, and that the idea of the constant can be determined from the words themselves and their logical connotations. The approach followed in this study was the theoretical analysis approach, in addition to the theoretical synthesis approach.

The study reached several results, the most important of which are: that philosophy has taken great strides towards arriving at an accurate treatment of the problems of the era, thanks to the idea of the constant, which is (form), and the variable, which is (content). It represents a decisive turning point in the history of contemporary philosophy.

Keywords: Logical analysis, constants, variables, atomic facts, philosophy of analysis.